

اختلاف اللهجات العربية

حول ما التقى فيه ساكنان

١- ذكر النحاة أنه إذا التقى ساكنان، فالجمهور على تحريك الساكن الأول بالكسر من نحو «من الله ومن الرسول»^(١)، لكن نقل عن بعض العرب أنهم يفتحون النون حينئذ^(٢)، قال اللحياني^(٣) - رحمه الله تعالى - إذا لقيت النون ألف الوصل فمنهم من يخفض النون فيقولون من القوم، ومن ابنك، قال: وأراهم إنما ذهبوا في فتحها إلى الأصل لأن أصلها إنما هو «منا» فلما جعلت أداة حذف الألف وبقيت النون مفتوحة، قال: وهي في قضاة.

وأنشد الكسائي عن بعض قضاة:

بَذَلْنَا مَارِنَ الْخَطِيئِ فِيهِمْ وكل مُهَنَّدَ ذَكَرٍ حُسَامٍ^(*)

مَنَا أَنْ ذَرَقَرْنُ الشَّمْسِ حَتَّى أَغَابَ شَرِيدَهُمْ قَتَرُ الظَّلَامِ^(٤)

قيل: إنما أراد «من» وأصلها عندهم «منا» فلما احتاج إليها أظهرها على الفتحة «وقد فتحوها تشبيهاً لها بكيف وأين وسوف. وأشباه ذلك، وذلك شاذ في القياس، خبيث عند بعضهم»^(٥).

وقد ضم بعض العرب الساكن الأول من نحو: مذ اليوم فقالوا: مُذُ القوم، ومُذُ ذهبتم، وأن لو استقاموا^(٦).

وإذا كان الأول تنويناً فالأصل فيه عند التقاء الساكنين الكسر نحو: مررت بزيد الظريف. فإن كان بعد الساكن مضموماً ضمّاً لازماً فإن من العرب من يضم اتباعاً نحو: هذا زيدٌ أُخْرِجَ إليه، ومنهم من يكسر فإن كانت الضمة عارضة فليس إلا الكسر.

(١) شرح المفصل ٩: ١٣١.

(٢) الدرر اللوامع ٢: ٢٣١.

(*) البيتان أنشدتهما الكسائي عن بعض قضاة. وبذلنا: أعطينا، والمارن: اللين في الصلابة، ومهند: السيف المنسوب إلى الهند. وحسام: قاطع. وذرقرن الشمس: أي طلعت. وشريدهم: طريدتهم ومبعدهم. وأغاب: ستر ووارى. وقتر الظلام: ظلام الليل وغباره.

(٤) الدرر اللوامع ٢: ٢٣١.

(٥) شرح المفصل ٩: ١٣١.

(٦) الكتاب ٢: ١٦٠، الهمع ٢: ١٩٩ وما بعدها.

وقال الجرهمي: حذف التنوين لالتقاء الساكنين مطلقاً لغة، وعليها قرئ: ﴿أَحَدٌ﴾
 (١) اللَّهُ الصَّمَدُ [الإخلاص: ٢] ﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ [يس: ٤٠]. وقال:

وَلَا ذَاكَرَ اللَّهِ إِلَّا قَلِيلًا^(١)

وقد كسر القوم الواو إذا كانت اسماً كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْأُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، وقوله تعالى: ﴿اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ﴾ [البقرة: ١٦] وهي قراءة يحيى بن يعمر وأبي السمال^(٢)، وقد قرئ بالفتح.

٢- وهناك من العرب من حذف النون من «من» الجارة إذا وليها ساكن كالآلف واللام التعريفية الظاهرة كقول أبي صخر الهذلي:

كَأَنَّهُمَا مِلَّانَ لَمْ يَتَغَيَّرَا وَقَدْ مَرَّ لِلدَّارَيْنِ مِنْ بَعْدِنَا عَصْرٌ^(*)(٣)
 وقال آخر:

لَقَدْ ظَفَرَ الزُّوَارُ أَقْفِيَةَ الْعِدَا بِمَا جَاوَزَ الْأَمَالَ مِلَّاسِرٍ وَالْقَتْلُ^(**)
 وقال الشاعر:

أَبْلَغَ أَبَا دَخْتَنُوسَ مَالُكَةً عَنِ الَّذِي قَدْ يُقَالُ مِلْكَذِبٍ^(***)
 وعليه بنى المتنبي قوله:

(١) الهمع ٢: ١٩٩. (٢) الشواذ ٢.

(٣) الهمع ٢: ١٩٩ وما بعدها.

(*) البيت نسب لأبي صخر الهذلي، وهو من شواهد شرح المفصل: ٨: ٣٥. والعصر المثوى والموضع.

والشاهد: حذف نون «من» حين التقت بساكن وهي لغة.

(**) البيت لم ينسب إلى أحد وهو من شواهد شرح التصريح ٢: ٢٩. وظفر: نال المطلوب وغرضه.

والعدا: قهرهم وهم جمع عدو، والزوار: الكثير الزيارة والجمع زوار. وأقفية: جمع قفا وهو مؤخر

العنق. وجاوز: أي اجتازه إلى غيره. والأمال: جمع أمل وهو الرجاء.

والشاهد: ملأسر: والأصل من الأسر: فحذف نون «من» لما لقيت ساكناً قبلها، وحذف لذلك الهمزة

تخفيفاً وهي لغة مشهورة لبعض العرب.

(***) البيت ورد في لسان العرب - مادة ألك - وشرح المفصل ٨: ٣٥، ٩: ١١٦. قال ابن بري: أبو

دختنوس هو لقيط بن زرارة، ودختنوس: ابنته سماها باسم بنت كسرى ويروى دختنوش.

والشاهد فيه ملكذب. . كالذي قبله.

نَحْنُ رَكْبٌ مُلَجِّنٌ فِي زِيِّ نَاسٍ فَوْقَ طَيْرٍ لَهَا شُخُوصُ الْجِمَالِ^(١)(*)

فإن كانت اللام مدغمة فيما بعدها لم يجز حذف نون «من» حيثئذ إلا أنه قد وقع في شعر لمؤرج التغلبي: حيث قال:

المُطْعِمِينَ لَدَى الشُّتَاءِ سَدَائِفًا مِلْنِيْبٍ غَرَاءِ^(*)
إلا أنه حين حذف النون أظهر لام التعريف^(٢).

وقد عزيت هذه الظاهرة اللهجية إلى زييد وخثعم^(٣) وهما من القبائل اليمنية.

وقد جعل ابن مالك هذا قليلاً، وجعله ابن عصفور وغيره من الضرورات، ونازعهما أبو حيان فقال: إنه حسن شائع لا قليل ولا ضرورة، قال: ولو تتبعنا دواوين العرب لاجتمع من ذلك شيء كثير فكيف يجعل قليلاً أو ضرورة بل هو كثير، ويجوز في سعة الكلام، وطالما بنى النحويون الأحكام على بيت واحد وبيتين، فكيف لا يبنى جواز حذف نون «من» في هذه الحالة وقد جاء منه ما لا يحصى كثرة^(٤). ووصفها ابن الأنباري^(٥): بأنها لغة مشهورة معروفة وقد فعل بعض العرب ذلك مع «على» الجارة أيضاً كما فعلوا مع بني الحارث وبني القين وبني الهجيم إذا تلتها لام المعرفة المظهرة فقالوا: ركبت علفرس وعلماء... يريدون على الفرس، وعلى الماء، فحذفوا اللام والألف من «على»، ومنه قول الشاعر:

(١) الخصائص ١: ٣٠٢.

(٢) الهمع ٢: ٢٠٠، الدرر اللوامع ٢: ٢٣٢.

(٣) شرح التصريح ٢: ٢٩. (٤) الهمع ٢: ٢٠٠.

(٥) المذكر والمؤنث: ٣٣٨.

(*) البيت للمتنبي من قصيدة مدح بها عبد الرحمن بن المبارك الأنطاكي، أولها:

صلة الهجر لي وهجر الوصال نكساني في السقر نكس الهلال
والجن والجنة: خلاف الإنسان الواحد جان. والزي: الهيئة. وفوق طير: أي فوق ركائب كالطير في السرعة. وشخوص الجمال: أي سوادها. وأصل الشخص الانتقال من موضع إلى غيره.
(**) البيت نسب لمؤرج التغلبي.. أصل السدوف: الشخص من بعيد والسدافة: كبيبات شحم السنام، ويقصد بالبيت: أي الناقة المكتملة وأصله: الناقة المسنة..
والشاهد: ملنيب.. والأصل من النيب حيث حذف النون من «من» وذلك جائز بعد آل التي للتعريف القمرية ولكنها لا تجوز في الشمسية ويرده ما في البيت حيث حذف النون من «من» الداخلة على المدغمة.

غَدَاة طَفَّتْ عَلَمَاءِ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ وَعَاجَتْ صُدُورُ الْخَيْلِ شَطَرَ تَمِيمٍ (*)
وقال آخر :

فَمَا سَبَقَ الْقَيْسَى مِنْ سُوءِ سَيْرِهِ وَلَكِنْ طَفَّتْ عَلَمَاءِ غُرْلَةُ خَالِدٍ (**)
يريدون: على الماء، فهزمة الوصل تسقط للدرج، وألف «على» تحذف لالتقاءها مع لام المعرفة فصار اللفظ: عللماء فكرهوا اجتماع المثلين فحذفوا لام «على» كما حذفوا اللام في «ظلت» «ومست» لاجتماع المثلين حين لم يمكنهم الإدغام لسكون اللام حينئذ، ولا ريب أن نحو «بنو الحارث، وبنو العنبر» أبعد مما ذكر لأنه منفصل وساكن فلا يتصرف تصرف الفعل حين تدركه الحركة إضافة إلى أن اللام والنون ليستا متماثلتين ولكنهما قريبتا المخارج تصرفوا بالحذف ههنا، وكثر في كلامهم الحذف في نحو علماء وعلفرس أكد^(١).

ويبدو -لي- أن هذه الظاهرة اللهجية كانت شائعة في منطق القبائل المتبدية فهي التي عرف عن أبنائها ميلهم الشديد إلى تقصير الجهد العضلي وسرعة النطق وهو ما يؤدي -في الغالب- إلى الحيف على بعض الأصوات والجور على بعض حروف الكلمة بالحذف مما نرجح معه بداوة قبيلتي زبيد وخثعم اللتين نسبت إليهما هذه الظاهرة اللهجية صراحة.

ويستوي حينئذ أن تنسب إليهما، أو تنسب إلى من سواهما من قبائل البادية فالجميع يشتركون في هذه السمة اللهجية.

(١) ينظر في هذا الكتاب: ٢: ٤٣٠، شرح المفصل ١: ١٥٥.

(*) البيت لم يعز لقائل معين. ومعنى طفا: أي علا فوق الماء ولم يرسب. وعاجت: أي مالت وانحرفت. والشطر: القصد.

والشاهد: علماء: والأصل على الماء.. فحذفت الألف لما التقت بألف الوصل من الماء.. وهي لغة.
(**) البيت لا يعرف له قائل. والغرلة: القلفة. والأغرل: الأقلف، ومن الأعوام: المخصب. ومن العيش: الواسع، وككتف: الرمح الطويل والرجل المسترخي الخلق. وطففت: علت فوق الماء ولم ترسب.
والشاهد: علماء.. حيث الأصل.. على الماء فحذف الألف من على حين التقى ألفها بألف الوصل من الماء.. وهي لغة.